الطفل نائم

قصة بقلم زكريا تامر

رمق الطفل دميته بنظرات حانية ، ورجاها ان تسابقه في العدو حول البحرة التي تتوسط باحة البيت . وكانت الدمية بنتا جميلة ، سوداء الشعر والعينين ، وقد رفضت تلبية رجاء الطفل قائلة انها اميرة ولا يليق بالاميرات ان يركضن مع ولد حافي القدمين .. الاميرات لا يمشين بل يركبن عربات ذهبية تجرها خيول بيض .

استاء الطفل من جوابها ، ولاذ بالصمت هنيهات ثم ما لبث ان ابتسم وعاود التحدث مع دميته ، فأبت ان تتخلى عن صمتها واغمضت عينيها بحركة ازدراء ، فانفجر آنئذ غضب الطفل، وسب الدمية ، ورماها ارضا بحنق ثم قصد المطبخ حيث كانت امه منهمكة في اعداد طعام الغداء.

وحين ابصرته الام ابتدرته قائلة بلهجة مؤنبة : « ألم اقل لك ان لا تدخل المطبخ » ؟.

فقال الطفل : « عطشت » .

فملأت الام كوبا زجاجيا بالماء ، وقدمته الى طفلها متذمرة . وما ان هم الطفل بشرب الماء حتى افلتت يداه الكوب ، وسقط على الارض فتحطم وتناثرت شظاياه ، فزعقت الام غضبى ، وامرت طفلها بمغادرة المطبخ فورا ، فلم يطعها انما تشبث بطرف ثوبها متباكيا ، وانباها بانه يكره دميته وسيقطع رأسها بالسكين ، فاحتارت الام ، وتطلعت فيما حولها بعينين مستغيثتين فلمحت جريدة عتيقة مرمية على رف خشبي ، فتناولتها واخذت تطويها بحركات بارعة ، وصنعت منها زورقا صغيرا .

وفرح الطفل بالزورق ، وغادر المطبخ مهرولا نحو البحرة ، وهناك وضع الزورق على سطح الماء الساكن ثم طفق يحرك الماء بيديه محاولا ان يجعل الزورق ينساب متقدما الى الامام غير ان الزورق ظل يترنح متمايلا ومتجمدا في مكانه .

وسئم الطفل بعد حين من الزورق ، فتركه على سطح الماء ، وابتعد عن البحرة ، ووجد نفسه يتمدد على الارض بالقرب من دميته . واغمض عينيه بينما كان يتناهى اليه مواء قطه الاسود الذي كان يربض على سطح البيت مناديا بالحاح قطة الجيران .

وما ان استسلم الطفل للنوم حتى تحولت البحرة الى بحر هائج متلاطم الامواج ، وتحول الزورق الى سفينة ضخمة وتحولت الدمية الى امرأة جميلة الجسد ، فاحمة الشعر ، بيضاء البشرة ، تقف عارية القدمين على الشاطيء الرملي غير مكترثة بالقط الاسود الذي كان يحوم حولها وهو يموء مواء حادا .

وعصفت الريح بضراوة وقادت السفينة الى الشاطيء . ولم يسمع الطفل اصوات الريح لانه كان نائما ويرقب ارنبا ابيض اللون يعدو في بستان اخضر .

ورست السفينة على الشاطيء ، وتدفق منها سيل من الرجال ، وتعالى صراخهم وحشيا مبهورا لحظة لمحوا المرأة الجميلة ، واندفعوا نحوها طوفانا عارما من الاجساد المبتلة بماء البحر والعرق . فاطلقت المرأة صيحة ذعر مديدة . وركض القط الاسود هاربا . ولم تستطع صيحة المرأة ايقاظ الطفل النائم الذي كان يطارد ارنبا ابيض يعدو في بستان اخضر .

وحاولت المرأة الفرار غير ان الرجال تمكنوا من امساكها ، وطفقوا يتدافعون حولها متزاحمين ، يلهثون باصوات عالية ، وايديهم تتخاطف لحمها . واوشكت الدماء ان تراق على رمال الشاطيء لو لم يسارع واحد منهم كبير السن ، ويطالبهم بالتريث والهدوء والتعقل . وعندئذ تخلت وجوه الرجال عن تجهمها وتلاشى الضجيج ، وتحلقوا حول المرأة الملقاة على الرمل وهم يعضون على السنتهم باسنانهم .

وقاومت المرأة الرجل الاول ، فقوبلت بعنف ضار وبصيحات هزء من الرجال ، فاغمضت عينيها خجلة . وكان الطفل آنذاك ما يزال مستسلما للنوم يعدو محاولا الامساك بالارنب الابيض الهارب عبر البستان الاخضر .

واشتد جوع القط الاسود ، وفرح حين لمح افعى تزحف على الرمل فانقض عليها ولكنها سارعت الى الالتفاف حول عنقه ، فاطلق مواء متحشرجا .

وانتحبت المرأة دونما صوت بينما كان يختلج جسدها تحت اجساد الرجال كعصفور يحتضر غريقا في دمه . ولم يمسح الطفل دموعها لانه كان نائما ويركض محاولا اللحاق بالارنب الابيض الذي يعدو في البستان الاخضر . وكف جسد المرأة عن الاختلاج ، وهمدت اصوات نحيبها فتزايد فرح الرجال وتطلعوا الى جسدها الابيض الهامد العاري باعين يصرخ فيها جوع جديد .

وكان الطفل في تلك اللحظة ما زال يركض في البستان الاخضر مطاردا الارنب الابيض .

واضمحل جوع الرجال ، وحملقوا باشمئزاز الى جسد المرأة الملطخ بالدم ثم انحنوا وحملوا الجسد والقوا به الى البحر مطلقين آهة ارتياح.

وكان الذباب في تلك الهنيهة يغطي جثة القط الاسود .

وتلقفت مياه البحر جسد المرأة وغسلت فورا الدماء عنه ثم غاص الجسد الى اسفل يتبعه سمك كثير العدد بينما كان الطفل مغمض العينين مستسلما للنوم ، وكان ما يزال يطارد الارنب الابيض الذي يعدو مذعورا في بستان اخضر .

زكريا تامر

الطفل والعربة

حنون مجيد

هبّ الرجل مذعوراً . . عبر باب الدار الخارجي نحو الفضاء القريب الأبيض المغبش بغبرة ترابية امتدت على مدى بضعة بيوت . . تلفت بهوس عصبي نحو كل جهة ، ثم حين لم يقع بصره على شيء تغشى الغضب في صدره بصورة مؤلمة فعاد أدراجه إلى الداخل بالسرعة نفسها التي خرج بها .

لم يعبأ الرجل بالسحر الذي قطر من سماء صافية تهبط برفق على التخوم النائية المكللة بقمم أشجار النخيل ، ولم يعبأ بأنفاس الصباح الرائعة التي لا يعكرها إلا هذه السحابة الترابية الغبراء والتي لا تني تتذبذب متصاعدة ، حيث لا سبيل لهبابها إلا أن يهيم في الفضاء أو يعود يركد على الأرض أو يحط على الجدران وقمم البيوت والأشجار .

كان الطفل الذي تجاوز سنته الثالثة يدفن نفسه في صدر أمه وهو يرتعش بالبكاء بادياً عليه فزع امتص لونه ، في حين هبت الأم الواقفة وسط الدار تلم طفلها الى صدرها وتضطرب معه دون أن تدرك شيئاً بالتحديد سوى أنه يبكي ويرتجف لسبب ما ، وأن عليها أن تضمه الى روحها وتنشدّ إليه وتطوّقه بذراعيها كلما اندحس في حضنها .

لقد دخل الطفل الدار باكياً مذعوراً مثل حمامة أفلتت تواً من مخالب صقر ، وجعل يتخبط ، وحين وقع بصره على أمه لاذ بها وانشدّ اليها .

« ترى ما الذي حدث له » ؟

هكذا تساءل الأب وهو يعلم أن زوجه تتساءل معه باللوعة نفسها والحيرة ولكن بصمت . ولما استشف ان حنجرتها أصبحت تضيق بالسؤال قال بغضب :

ـ لا بد أنه ابن الجيران ، وهكذا للمرة العاشرة !

ـ منذ زمن وهما متصاحبان . . لعله شيء غير هذا ، قطة مسرعة ، كلب سائب مثلاً .

ردّت الزوج مهدئة بعد فترة من التأمل وضبط الأعصاب .

ـ أترين ذلك حقاً ؟

قال متسائلاً وهو يتلفت نحو طفله الذي كف عن البكاء ، وقبل أن تجيبه :

ـ نعم . إني أرى ذلك ولا علاقة لأحد من الجيران .

كانت قد أمسكت بلطف برأس طفلها ، أبعدته قليلاً عن كتفها وبنظر مشوش غمرت وجهه الذابل المبلّل بالدموع . . أضافت :

ـ لم يحدث أن عاد هكذا من شجار .

ـ ما الذي حدث له إذن ؟

ـ قلت لعله حيوان خطف من أمامه وفزّ عليه .

انقلب الرجل نحو طفله يسأله :

ـ محمد . ولدي من معك ؟ هيا قل . . من الذي أبكاك ؟

لم يجب الطفل ، بل جعل ينشج وهو يرتعد ، الأمر الذي عبّأ الرجل بمشاعر مكتظة لم تكد تجد لها متنفساً إلا في حركة تقود أقدامه الملتهبة إلى الخارج حيث بدأ ثانية يراقب الأشياء .

ولم يعد يخفى على الرجل أنه الآن لا ينظر إلى الأشياء نظرته إليها بالأمس ، وأنه يراقب الأشياء القريبة فقط بنظرة شك مسحورٍ برغبة شديدة في أن يكتشف شيئاً ما ، يقبضَ عليه يحطمه أو يقطع أنفاسه ، ولم يكن أمام الرجل سوى فراغ صامت وغمامة من الغبار نفثت غضبها ولم تعد سوى هالة من هباء تلاشت بنور الصباح .

عاد الرجل يتسقط في ملامح الطفل حركة ، نأمة ، دليلاً على هذا الشيء الذي ينتقل اليه هو نفسه ويعصف به .

حين لم يهتد إلى أي شيء سوى أن ولده قد عصفت به موجة خوف وذعر ، وأنه بدأ يستعيد شيئاً من هدوء واطمئنان ، استكان هو الآخر الى حالة تتراوح بين العزم على استطلاع ما يعذّب ولده وبين اعتبار أنّ هذا انما يحدث لكل الأطفال ، وأن شيئاً ما قد حدث له حقيقة ولكن دون أن يُلحق به ضرراً مادياً من أي نوع ، ولم تمر سوى لحظات حتى انفلت سؤاله :

ـ قل يا ولدي ، يا حبيبي ، من الذي أفزعك ؟

تململ الطفل نحو حجر أمه التي قعدت به الآن وانزوى هناك دون أن يجيب. لم يفطن الرجل لمرأى عيني الطفل وهما تنأيان نحو الباب فعاد يسأل:

ـ محمد . . بابا . . انظر إليّ .

وقاطعته زوجه بأن قالت مستحثّة طفلها على الكلام :

ـ انظر إلى أبيك . . هيا . . أنت شجاع . . ألم تقل ذلك مرات ومرات . . قل يا حبيبي من الذي آذاك ؟

لم يفه الطفل ، بل ظلّ ساهماً يرنو نحو بُعد لم يتبيّناه .

ـ انت لا تقول شيئاً . . أليس كذلك . . هيا قل ولو باشارة ، تعال دُلّنا .

بلطف تناول الرجل يد ابنه وهو يحاول أن يستلّه من حجر أمه فتردد الطفل ثم بسرعة سحب يده وانقلب نحو أمه ولف ذراعيه حول عنقها .

ـ اتركيه حتى يطمئن

وقاطعته زوجه بأن قالت مستحثّة طفلها على الكلام :

ـ أنظر إلى أبيك . . هيا . . أنت شجاع . . ألم تقل ذلك مرات ومرات . . قل يا حبيبي من الذي آذاك ؟

لم يفه الطفل ، بل ظل ساهماً يرنو نحو بُعد لم يتبيّناه .

ـ أنت لا تقول شيئاً . . أليس كذلك . . هيا قل ولو بإشارة ، تعال دُلّنا .

بلطف تناول الرجل يد ابنه وهو يحاول أن يستلّه من حجر أمه فتردد الطفل ثم بسرعة سحب يده وانقلب نحو أمه ولف ذراعيه حول عنقها .

ـ أتركيه حتى يطمئن ويأمن ثم حاولي بطريقة ما أن تتفلتي منه . . دعيه يقف على قدميه إلى أن يأمن تماماً فيكون لنا معه شأن آخر .

جعلت المرأة تطبطب على ظهره وهي تنزعه عنها بلين وتنهض فتعلّق بأذيالها . . تشاغلت عنه وهي تدندن بأغنية لا يُسمع منها إلا لحنها . . عبثت بجهاز راديو صغير ثم حين عثرت على أغنية للأطفال استقرت عليها وركنت الجهاز الى رف صغير على الجدار .

أما الرجل فقد وضع دراجة الطفل على مرأى منه ، وكانت الأم تدور في غرفة كبيرة والطفل يدور معها دون أن تقع عيناه على شيء سواها حتى عثر بدراجته فتوقف إزاءها ساكناً كما لو أنه يراها لأول مرة ، ثم ما لبث أن تقدم ببطء منها. وبنفس عازفة عن أي شيء ـ أو هكذا يبدو ـ انحنى عليها وتشاغل بها . .

انتحى الرجل بزوجه جانباً وهمس لها :

ـ حاولي أن تقلّلي من اهتمام الطفل بما حدث ، اشغليه باي شيء وراقبي نقطة الخوف من بعيد .

ـ لقد انغمر بدراجته . . انظر كيف هو يعالجها أو يتصنّع ذلك .

ـ اتركيه هكذا . . دعيه يغرق في مشكلته هذه ، فلربما ينسى ما حدث له . . دعي عقله الصغير يتعب هنا .

وكان الطفل قد طرح دراجته وبات يتدارك بإحساس شارد تعذّر أحد إطاريها الخلفيين عن الدوران . بعد لحظات والرجل يراقب ولده مراقبة دقيقة قال:

ـ أنظري اليه . . بدأ يدخل في صميم المشكلة . . قبل لحظات كان نظره شارداً ، أما الآن فانه كما ترين ينصب كلياً على دراجته . . هو لا يستطيع بمفرده أن يعيد الى الدراجة حركتها ، ولكن لا تقتربي منه ، كذلك لا تبتعدي عنه كثيراً .

- ولماذا لا نساعده على إصلاحها فلربما يقودها الى الخارج وينسى كل شيء .

- كلا . الذي أراه ان ما يعاني منه اللحظة هو تداخل المشكلتين . . دعيه ينتصر على عطل دراجته ، فان لم يستطع فإنه لن يكف عنها حتى تتلاشى قواه ، وسوف تبقى المشكلة هذه تلاحقه ساعات وساعات حتى ينسى - ربما - مشكلته الأولى ان لم تعد بموضوعها تمثل أمامه من جديد .

وما كان أمام الطفل من سبيل إلى معالجة دراجته . كانت أصابعه الدقيقة تمتد وتمتد وتعبث وتعبث ثم ما تلبث أن تعجز فيظل يدور ويدوروهو يلهث ويشخر ، وحبوب العرق تتراقص فضية على جبهته الصغيرة وتلتم تحت عينيه الطفلتين . وكان الأبوان غير منقطعين عن النظر إليه ومراقبته بصمت حتى مرت لحظات بدأت خلالها صورة الدراجة تهتز تحت عينيه ثم ما لبثت أن غامت وامحت نهائياً واستغرقه النوم . .

ترك الطفل دراجته طريحة إلى جانبه ، وكانت هي الأخرى تنام وفي أعماقها مشكلة لم تحل بعد .

* * *

لم يستسلم الأبوان لنوم طفلهما ، فالخوف الذي عصف به والذي بدا ظاهرياً أنه نام معه امتد اليهما وبدأ يستيقظ الآن . . قالت الأم :

- كل مرة يتعرض فيها لأذى حقيقي يعود الى البيت راكضاً ، يطلب النجدة ، وحتى يراني يعود ثانية إلى الخارج بعزم جديد ، وفي كل مرة ينال أحداً بالأذى يعود إلى البيت لائذاً يطلب الحماية من شر قد يقع عليه ، ولكنه في الحالتين ينسى بسرعة كل شيء . فيعود إلى أقرانه يطفح وجهه بالبشر ونفسه بالسعادة . اما هذه المرة فإنه على خلاف ذلك .

- أعرف هذا جيداً . . الغضب والخوف في كل مرة لا يمسّان إلا طبقة خارجية من نفسه ، أما هذه المرة فإن خوفه قد توغّل نحو أقصى بُعد فيه . . عاد يهتز ويرتعش . . شفتاه تيبّستا . . لونه انخطف كلياً ، وبين لحظات البكاء كانت تعاوده لحظات سكون ذاهل كأنها عودة إلى الوراء ، إلى حيث ما أخافه وبثّ الذعر فيه .

- وكيف سيكون سبيلنا اليه ، الى نفسه الصغيرة وقد دخلها هذا الشيء الكبير ؟

- الآن وفي حالته هذه وهو نائم يكون تقصّي أسباب مشكلته كحالة من يتقصى تنقية الخضروات في الظلام ! نحن لم نعرف للآن ما الذي حدث له ، وغيره لا يمكن أن يكون دليلنا إليه .

- لننتظره حتى يستيقظ .

- ولكن إياك أن تذكّريه بشيء . . دعينا نراقبه من البعيد القريب ، والقريب البعيد كما اتفقنا من قبل . هو نفسه سوف يكشف لنا مشكلته إن كانت ما تزال عالقة بنفسه . سيقودنا إليها بحركة أو إشارة أو كلام . . انتظري ولا تتعجّلي .

- قد يقتضي ذلك زمناً طويلاً ، فقد لا يمثُل الموضوع أمامه إلا بعد فترة طويلة .

- نعم قد لا يمثل ، ولكن الخوف يبقى عالقاً وقد تتلبّسه موضوعات أخرى قد تكشف عن حقيقته .

- أنظر كيف يظلّل الخوف والألم وجهه !

- قد يستيقظ على خوفه . . في هذه الحالة لا بد أن نكون قريبين منه .

تململ الطفل ، فتح عينيه ، نهض بتراخ ، لم يَبْدُ عليه أولاً سوى كسل النوم ، ثم ما لبث أن استيقظ في عينيه تطلع مبعثر غريب ، انتهى على والديه القريبين ، فاستقر لحظة واندفع نحو امه وارتمى في حضنها . . ظل هناك منزوياً والمرأة لا تريد أن تستجيب له استجابة كلية فانقلب ببصره نحو دراجته الساكنة وهو يعطي أمه ظهره دون أن ينفصل عنها . . هناك أخذ يحدق واجماً ثم درج نحوها وهو يستعيد شيئاً من نشاط وبدأ يخوض فيها . .

أوقفها ، حركها إلى الأمام ، شعر بثقل إطارها أرضاً وانغمر في معالجتها .

- أنظر ، إنه يغرق نفسه فيها .

- إنه يبتعد عما يدور في نفسه . . يتمنى لو يستغرقه علاجها زمناً يكفل له نسيان ما حدث .

- إذن سوف يستمر في لعبته وهو يعرف استحالة ذلك .

- في عقل الطفل الكثير من الأحابيل . . الحيلة عنده تبدأ مع الثدي .

- والى متى ؟ دعنا نقطع عليه ألاعيبه . . دعنا نساعده في إصلاح دراجته .

- إذا كان لا بد من هذا فهيا . . .

* * *

ترك الأبـوان الباب مفتوحاً على سعته والدراجـة تقف بإزائـه مثل حصان صغير نفض عن جسده تعباً طارئاً ألمّ به ، في حـين تحامل الطفل على نفسه قريباً منها دون أن يجرؤ عـلى ركوبهـا . . كـانت رغبته في أن يتسلق جسـدها تخبـو كلما تطول نـظره نحـو الساحة التي تقع أمام الدار ، الأمر الذي حمل والده على أن يقوده بيسر ويساعده على ركوبها . .

تسلّق الطفل ظهر دراجته ، ولكن دون أن يضغط على كفّيها بقدميه . . ترك جسده يتكوم عليها في الحين الذي كـانت نفسه فيه أعصى ما تكون عليه . . قاد الرجل الدراجة بيده فـانسحب جسد الطفل عليها وإن أوشك أن يسقط الى الوراء أولاً .

خـارج الدار كـانت الشمس قد نسجت سبيكـة من الفضّـة والنحاس ، والساحة التي تمتدّ كلما تطاول النظر حتى غابة النخيل في البعيد ، تستلقي برخاء تحت أقدام الأطفال الذين حان وقت خروجهم للعب فيها ، بل إن بعض الكبار ممن تضيق نفـوسهم بالبيت ولا تتسع إلا في الشارع والمقهى ، انتفضوا نحو غايـاتهم بنشـاط . . الوقت صيف ؛ أو الصيف ، واليـوم هو الجمعـة ، والساعة لا تتجاوز الخامسة من بعد الـظهر إلا بـدقائق خمس ، والجوّ يَعِدُ بأنفاس رخية قادمة من غاية النخيل :

- هيّا يا محمد ، هيّا .

ضغط محمد بقدمه اليمنى على كفّ دراجته فانسابت الدراجة للأمام في حين تناولت القدم اليسرى الكفّ الثانية فانحدرت هي الأخرى واستمرت الدراجة تنساب بهدوء .

جعلت القدمان تتناوبان الضغط والـدراجة تسـير للأمـام أو تتجه نحو اليمين . وكلما اتجهت قليلاً نحو اليسار أوقف دراجته بعصبية ظاهرة وحرفها نحو اليمين . . بعدئذٍ تدراك نفسـه وقاد دراجته نحو اليمين وانطلق عليها مخلفاً أباه خطوات .

لاحظ الرجل بشيء من الفرح انفتاح طفله على دراجته والنظر إلى بعض الأطفال بلا رهبة ، دون أن يعلّق جانبـاً ما بـدأ يغزو نفسه من الشك كلما طوت الدراجة المسافة نحو اليمـين واليمين فقط . .

ترك الرجل ابنه . . أعطاه ظهره وتقدّم جهة الشمال . . هي ذي البيوت الحجرية تقف إلى جانبه بتواضع أمام الفضـاء النقي إلا مما بدأ يعكره من غبار تثيره أقدام الأطفال اللاهين ، وبعض الرجال المتقاطرين نحو مقهى المدينة في أقصى اليمين . وها هي ذي الساحة الترابية والناس . . ذلك الرجل القعيد الذي يجلس على كرسيه أمام داره كلما انحـدرت الشمس قليلاً وكـأنه يجلس منذ الأزل وبسمة الحياة اللذيذة لا تفارق شفتيه كما لو أنه حكمة عظيمة تجسدت بهيئة رجل تدعو إلى الحياة وتبشّر بها .

« لا شيء يدعو للقلق ، بل إن الأشياء جميعها تبدو رائعة وسليمة ولذيذة » .

هكذا فكر الرجل ونسائم رقيقة بدأت تلعب على الوجوه فتبلغ النفوس .

ترك طفله يبتعد عنه ويغرق في سحائب الغبار التي تلفّه ، بل إنه ترك التحديق في ما يقترب منه ، جعل يطفح في حلم يكتنفه ويرفع عن نفسه كل ما علق بها ، حتى إذا عاد إليه وعيـه توقف والتفت نحو ابنه الذي كان يتلكأ في عودته مخلفاً خيطاً واهناً من الغبار .

أخذ الرجل يدقق في ملامح ابنه المتعبة . . لقد غادره الفرح وعلامات اللهو التي طرزت وجهه قبل قليل .

« هل هو يقترب من نقطة الخوف » ؟

حدث الرجل نفسه بقلق ، وهو يتردد في أن يتقـدم نحوه أو يثبت في مكانه ينتظره . .

جعل الطفـل خطوات دراجتـه تثقل وتكـاد تتوقف . . رفـع الرجل كوعه عن مقدمة عربة تخص الجار الثالث كـانت جاثمـة منذ ساعات أمام ذلك البيت ، ثم حمل جسده عنها لحظة أن عاد إليها صاحبها ودلف إلى داخلها . .

بدأت العربة تزأر وتهتزّ وكانت بمواجهة الدراجة الصغيرة كما لو أن معركة غير عادلة ستنشب بينهما . . وما أن تحركت العربـة قليلاً حتى تعثرت خطوات الطفل فانكفـأ على دراجتـه ثم سقط على الأرض وهو يـطلق صرخـة حادة ثم يلقف نفسـه ويفر بهـا بعيداً . .

اندفع الرجل نحو ابنه الذي خلفته العربة وراءها بعيداً، جمله نحو صدره ، شدّه إليه شداً قوياً وهو يقول :

- إذن هي العـربة . : لا تخف يـا ولـدي ، لا تخف . لا شيء يدعو للخـوف . إنها عربـة جارنـا . . كفى . . كفى . .

في طريق عودته انحنى نحو الدراجة الصغيرة المنكفئة على التراب ، حملها الى جانب صغيره وسرعان ما غيّبهما الباب .

* * *

عصر اليوم التالي قالت المرأة لزوجها :

- إذا كنت قد اتفقت مع الرجل فنستطيع أن نختبره إذا كانت العربة هي السبب أم لا .

أجابها وصورة ولده تعبر ذهنه ببطء ثقيل : فزعه صباح الأمس ، الغمامة التي كدرت جزءاً من فضاء ذلك اليوم ، صرخته وانكفاؤه على الأرض :

- سيكون ذلك الآن وليس بعده . . أخبريني كيف هو في الصباح ؟

- لم يخرج ، بل ظل يتشاغل بلعبه أو يجري خلفي متعلقاً بأذيالي أو يتباكى على حاجات لا يبدو أنّ له رغبة حقيقية بها .

حلقت يد الرجل نحو الطفل . . لعبت على ظهره وعبثت بأصابع رفيقة في شعره ثم تسللت بخفة وصمت نحو يده الصغيرة ، تناولتها مثلما تتناول يد رقيقة عصفوراً صغيراً ، فتبعت معها أولى الخطوات . . بعد خطوة أو خطوتين تململت اليد الصغيرة ليس على حرارة اليد التي تحتضنها وإنما على ارتجاف في الفؤاد وخوار في الساقين . . تململت اليد وتوقفت الخطوات تحت شعاع من نظر قلق وحارّ تسلطه عيون الوالدين . . كاد الطفل يعود على عقبيه نحو أمه التي سرعان ما اندفعت الى الأمام باتجاه الباب المفتوح .

أخرجت الأم رأسها فانغمرت بالنور الذي ما يزال عالقاً في الفضاء ، عبرت الباب ووقفت في الخارج . . تقدم الرجل هو الآخر ولكن ببطء ودون أن يقود ابنه أو يتركه بعيداً خلفه . .

تردد الطفل أولاً ثم حين التفت ووجد الظل خلفه يغمر البيت الذي فرغ من الوالدين حرك نفسه للأمام ، ومثل فأر أخرج رأسه من فتحة الباب .

بسطت الأم ذراعيها نحوه فانقاد نحوها . . سار الرجل بمهل نحو العربة الجاثمة وهو يدعو ابنه أن يتبعه بصوت هادىء فيه بعض الحزم وليس فيه جفاف . .

تردد الطفل أولاً

لم يستمع الطفل لنداء أبيه ، وكلما اقترب الرجل من العربة ، تراجع الطفل نحو أمه أو لاذ بها . . وقبل أن يصل الرجل العربة كرر نداءه وهو يلتفت نصف التفاتة نحوه ، وحين وصل العربة واتكأ عليها جعل الطفل يسحب أمه محاولاً العودة بها إلى الدار . . لم تستجب الأم ، إنما قاومت رغبته ، وأخذت تتراسل مع زوجها حديثاً وجهداً ان يكون مسموعاً .

قالت :

- أنت تتكىء على عربة جارنا الجديد ، أليس كذلك؟

- - بلى .

- إنها عرب جميلة . . إني أرى ذلك .

- إنها عربة جميلة . . أنظري اليها . . هي جديدة كذلك ومريحة

وهل هي تحبّ الأطفال الصغار ؟

- وكيف لا ؟ وفي داخلها بوق يغرّد بصوت جميل ؟

- هي كذلك اذن . فهي حلوة جداً ، . . . اسمعي بوقها . . أليس صوته رائعاً .

انفرج باب البيت الثالث على اليسار عن صاحب العربة . . ابتسم للأب الذي يتكىء على عربته ، ورمى الأم بإشارة التحية من يده ، ثم أعطاها والطفل ظهره وراح يتحدث مع الأب بصوت فيه ألفة وودّ ظاهران للعيان :

- انت ترى أنها عربة جميلة جداً تستطيع أن تركبها .

فتح الباب الأمامي بهدوء ثم التف وفتح الباب المقابل . . أصبحت العربة مثل طائر عظيم فَرَدَ جناحيه . . جلس الأب في المقعد الأمين تاركاً إحدى ساقيه إلى الخارج ، وبصورة وئيدة لملم الرجل الآخر جسده خلف مقود عربته . . زمّر ببوق العربية مرة ، مرتين . . أخرج الأب رأسه باتجاه الزوج وهو يلمح من طرف خفي انفصال الطفل عنها .

- تستطيعين أن تشاهدي العربة . . إنها رائعة . . اسمعي كم صوتها جميل .

رن الصوت ، وتقدمت المرأة خطوة والطفل في مركزه لا يبرحه :

- ستشاهدين كم هي رائعة .

وتقدمت خطوة أخرى وهي ترخي واحدة من يديها

للخلف، ولما استمر متشبثاً في مركزه توقفت هي الأخرى:

ـ سوف نذهب بها إلى تلك الغابة الرائعة.. انظر سنقطف لك منها زهرة كبيرة وملونة.

أومأ الرجل لزوجه أن تتقدم بثبات.. حين وصلت العربة بسطت يديها عليها بحنان ثم التفت حولها وهي تمسح جسدها الكبير وتزيح عنه بعض ما انتشر عليه من غبار، ثم وهي تختزل طريقها نحو ولدها ألقت عليه نظرة اكتشفت من خلالها أنه لم يتزحزح عن مكانه نحو الأمام إلا قليلاً.

سارت العربة.. دارت دورة صغيرة والطفل يراقب بانتباه كل شيء، إنه يرى أباه يطوف في العربة الى جانب صاحبها، الرجل الذي أفزعه صباح الأمس بسرعته المجنونة وكاد يهرسه بعجلات سيارته المرعبة.. إنه يشاهد كذلك ابتسامات عريضة تطفو على شفتيه فيستجيب لها أبوه بود، كما أنه شاهد أمه وهي تقترب من العربة وتمسّد جسدها وربما بعثت فيه نفس الحنان والدفء اللذين تبعثهما في نفسه وهي تمسّد جسده.

عادت العربة بالهدوء نفسه الذي انطلقت به أول الأمر. هبط الرجلان وهما يتحاوران تحت ظلال من الألفة والابتسام.. ودّ لو يكون بينهما الآن، لو ينسى ما حدث له صباح الأمس القريب.. كادت نفسه تنسى لولا هذه الخطوات التي تمتنع عليه. كانت نظراته تشي بنوع من الانكسار الذي يشي هو الآخر بتوزع الرغبة في النفس، وإذ أدرك الأب ذلك فانه أوشك أن يومىء للطفل بالاقتراب وأن يكلمه ويلاطفه، لولا شعوره بأن هذا قد يفسد القليل من اللهفة التي هو عليها الآن ويعيده الى صدمته فأمهله عدة لحظات تقدم بعدها منه.

خطا نحوه والطفل يقف منفرج الساقين، زائغ النظرات، طفلاً كما لو أنه لا يشبه أي طفل.. عاد الطفل فأرسل نظره نحو أمه القريبة.. تخطى الرجل ابنه، والأم تراقب طفلها بحذر.. هتفت وكانت متأخرة عن ولدها خطوتين:

ـ محمد.. تعال، نرجع الى الدار..

لم يستجب الطفل لنداء أمه.. ظل حارناً لا يتقدم أو يتأخر، ولما هتفت مرة أخرى:

ـ محمد.. هيا إلى الدار.

انفجر باكياً بعصبية متشبثاً بمكانه لا يتزحزح عنه.

ـ أنظري، إنه لا يريد أن يعود، كما أنه لا يستطيع أن يتقدم، إنه يريد يداً تدفع به للأمام، ولكنه ما يزال خائفاً.. لا تتقدمي منه، ارتكيه قليلاً...

قال الأب ذلك وهو يخطو نحوه.. وضع يده على فروة رأسه ثم أسبلها نحو يده، ولما تلامست اليدان فتل الصغير يده بتشنج فتجاوزه الأب مرة أخرى نحو العربة، عندئذ تقدمت المرأة من ابنها، جلست إزاء ساقيه المنفرجتين ويداها تحتضنانه.. رفعته للأعلى بين يدين متعلقتين بعنقها وقدمين ترفسان بطنها.. اقتربت به من العربة قليلاً فتشبّث بها.. توقفت ثم وضعته على الأرض حيث حرن في مكانه مرة أخرى كما يحرم حمار صغير:

ـ اتركيه وتقدّمي قبل أن يفسد كل شيء.

تقدمت المرأة وهي تدعوه وتلطّف له اللحاق بها. ولما لاحظت ترجحه انداح صوتها ناعماً رقيقاً:

ـ هيا.. تقدم، هات يدك يا حبيبي.. إنها عربة جميلة ومريحة.

في هذه الأثناء اعتلى الأب صدر العربة.. أمسك بالمقود وهو يرى، في المرآة الجانبية، الامّ تقود يد الطفل، فأطل برأسه من نافذة العربة ودعا:

ـ هيا.. هيا.. أنا في الانتظار.. العربة تتحرّك.. أنظرا.

وفعلاً تحركت العربة قليلاً.. انسابت على الأرض والأم تلحق بها بهوس صبياني مفتعل وتقول: ـ

ـ دعنا نلحق بها.. محمد.. دعنا نلحق.. هيا أسرع.

صارت القدمان الصغيرتان تزحفان نحو الأم والعربة التي توقفت وصارت قريبة الآن. فتحت الأم الباب الخلفي وغمرت نفسها بداخلها تاركة الطفل يلحق بها.

عند فتحة الباب توقف الطفل متلكئاً، غير أنّ يد الأم امتدّت اليه فهفا نحوها وضمته العربة وهي تزحف بخيلاء نحو غابة النخيل.

بهدوء وفرح قالت الأم:

ـ لقد انتهت المشكلة.. أليس كذلك؟

أجاب الأب ببرود: ـ لقد بدأنا الآن.

بغداد

الطفل والعوسج

قصة بقلم فوزي فريد

كان كل شيء صامتا في الغرفة ما عدا ساعة الحائط الكبيرة ... كانت تدق بعنف ... تك تك ... تك تك .. فخالجه شعور بالثقة والارتياح ايقظه من وجومه الطويل فقام يعد لنفسه فنجانا من الشاي . وحانت منه التفاتة الى رف الكتب فألفى صورتها تتوسد الرف وهي تبتسم له باغراء . « القذرة » قالها بصوت متشنج مخنوق وهو يقذف بالصورة الى سلة المهملات . من تحسبني هذه المستهترة ؟ اتحسبني مغفلا كبيرا لا أفقه حقيقة الاشياء وبواعث الامور ؟ ام تحسبني مطية ذلولا لشهواتها وارادتها التي لا تقف عند منطق او ضمير ؟

وركلت رجله محفظة الكتب بنزق ... « كنت سأنهال عليها صفعا حتى اعميها ثم امسك بخناق رفيقها واطرحه ارضا ثم ادوس كرشه بقدمي . » وانزلقت نظارته البيضاء الى ارنبة انفه ... فأعادها الى قبالة عينيه بعصبية آلمت صدغه ... وهرش رأسه قليلا وهو يصب الشاي في الفنجان .. « هه .. ولكن من هي حتى آبه لها واورط نفسي في مآزق كهذه . كانت على كل حال تجربة ذات عبر لن انساها ... وانا في هذه البلاد اجري وراء التجارب والحقائق في كل بحوثي ودراساتي . انها صفحة سوداء وانقضت .. »

وعن له ان يطالع الصفحة السوداء من بدايتها ، ولكنه سرعان ما طرد هذه الفكرة ... « ان اهمالها سيكون اكبر اهانة لها ... وهذا ما سأفعله بالذات . » بيد ان الفكرة عاودته من جديد ! كان الوقت مساء ... وهو يتأبط المجلد التاسع من كتاب « الفصن الذهبي » ويقف منتظرا تسجيله في قسيمة استعارة الكتب في مكتبة الجامعة . وتناهى الى سمعه صوتها في بحة عندليبية ! هل تسمح يا سيدي ؟؟

ـ بكل طيبة خاطر ...

واخذت عيناه تتمليان شعرها الذهبي كحزمة سنابل من عطر وعينيها الفيروزيتين كبحرتين من سحر اخاذ ثم تنزلق الى انامله الرقيقة وهي تدون اسمه في قسيمة الاستعارة .

ـ الاسم عصام أليس كذلك ؟؟

ـ نعم يا آنستي !

ـ اذا صدق ظني فهو اسم فارسي ؟

ـ أخطأت اصابة الهدف قليلا !

ـ عربي ؟؟

ـ وهو كذلك !

ـ وهل هو اسم أمير يمتطي صهوة جواده العربي كل صباح ويغازل زوجاته الاربعين كل مساء ؟

وغرغرت بضحكة طفولية حلوة .

ـ بل هو يا آنستي طالب مسكين يخر صريع الجمال من اول نظرة.

وشحذ ذهنه مليا ليضيف عبارة مناسبة ولكنه ارتج عليه فتناول كتابه وافسح المجال لغيره من المستعيرين .

وتذكر تلك الليلة التي قبلت فيها دعوته لاول مرة ... كانت ليلة مجنونة كلها سحر وفتون ... ولقد عاشها بشرايين وجوده حتى مطلع الفجر . ذهبا اولا الى المسرح ثم الى مطعم في قلب المدينة وبعدها الى ملهى بوهيمي لم ينصرفا منه الا قبيل الثالثة صباحا . كانت ليزا ـ وهذا هو اسمها ـ في غيبوبة من النشوة والمرح فأمسكت بيمينه واخذت تطوف به الشوارع والساحات الخاوية . كان حرس الليل ينظرون اليهما بريبة وتجهم فيقابلان ذلك بالضحك والغناء ... وما اروع ساعة انبلاج الفجر واطلالة الصباح ... خيوط من النور الوضيء تبلسم حواشي الافق وتزحف صوب المدينة .... اسراب الطيور والحمام تنهض من اعشاشها في سمفونية راقصة ... وايديهما متشابكة ... وخصلات شعرها تلفح وجهه ... وزرافات العمال والعاملات يمرون بهم باسمين محيين .

واشاح برأسه يتصفح احد الكتب متسائلا : « الحياة سراب .. لم اكن اتصور انها ستقابل اخلاصي وتضحياتي بالفتور والخيانة . سأسلوها مهما يكن من امر ... وعلى اية حال ان لدي اعمالا اجدى من ذلك واجل نفعا . » واضطجع على الاريكة الوحيدة في الغرفة واخذ يحدق في نقطة معينة في السقف : « لقد عثرت الان على اخطر سلاح في العالم ... انه يحميني من الموت ويقضي على جميع الاسلحة النووية وغيرها في جميع البلدان ... لقد ارغمت امريكا وروسيا على التصالح والتفاهم ... لا دكتاتورية في العالم ولا رأسمالية بشعة ... آه ... الان اسرائيل .. ماذا سأفعل باليهود .. هل سأقذفهم في البحر ... كلا .. لا لزوم لذلك .. سأصدر أوامري الى الامم المتحدة بأن تعمل على ترحيلهم الى جزيرة ما قرب استراليا ... يكفي ذلك ... لن اكون همجيا مثلهم ... آه ... الشعوب المستعمرة .. سأحررها جميعا ... وستصفق لي الشعوب من اعماقها ... وستدعوني قائد البشرية ... كلا ... بطل السلام .. لا ... الزعيم الانسان ... ليس ذلك مهما.. سأمر في هذا البلد يوما ما ... ستلتهب اكف المواطنين بالتصفيق .. سيهتفون لي طويلا وستفص ساحات المدينة بآلاف مؤلفة من الجماهير المحتشدة ... وستكون هي بينهم ... نعم ستقف بينهم ... حشرة صغيرة تدب بين حشد هائل من الناس ... وستنظر الى اعلى الى فوق ... الي ..... وفي عينيها دموع وفي قلبها ندم ... وسأصوب اليها نظرة شزراء ثم اتابع سيري لارد تحية الجماهير . »

وافاق من شروده على صوت احد السكارى في الطريق ، وهو يرفع عقيرته بالغناء حينا ويخطب مهددا متوعدا حينا اخر ، فوقف يطل عليه من النافذة وقد زحمت حلقه غصة ... « ان القوم ها هنا يحلمون مثلي ولكن بطريقة اخرى . » وعاد الى اريكته بعد ان ابتعد السكران منعطفا الى شارع اخر . وفجأة توقفت ساعة الحائط عن الدق ... فوجف قلبه ، وغمرت كيانه قشعريرة صقيعية رهيبة ... « كلا ... لن اتركها ، سأعتذر لها ... ستعود الي ... لا استطيع .. انا بحاجة لها ... بحاجة ماسة ... يا الهي ... لماذا اذكر الان تلك الليلة المشؤومة .. انني لا اريد .. لا اريد . »

كان في تلك الليلة طفلا لا يتجاوز الخامسة من عمره ... وكان يلعب مع جارته الصغيرة ليلى في بيتها الكبير في يافا عندما جاءت أمه

على عجل وحملته مهرولة به نحو بيتهما القريب . وقد سمع من اللغط المتزايد ومن الدوي الرهيب ان اليهود يقصفون يافا بالمدافع . وانزوى في فراشه الصغير متشبثا بالوسادة منصتا لكل شيء ... وتعالى الدوي المفزع حتى كاد يصم اذنيه ... وتعالت معه الصيحات والضجيج والاصوات ... فأحس الطفل بأنه والفراش قطعة واحدة ... وفجأة خفت الدوي وتوقف الضجيج وذهبت الاصوات ... وحملق الطفل في الظلام مرهفا سمعه وكل جوارحه فلم يبصر سوى بصيص من ضوء ينعكس على ساعة الحائط ولم يسمع الا دقاتها الالية ترن في اذنيه كأهزوجة حانية ... كانت الساعة آنذاك بمثابة أمه وابيه وجدته فسكن جاشه وراح يحلم بمجيء النهار ... ولكن تلك الدقات الدافئة ما لبثت ان توقفت مرة واحدة وخيم بعدها صمت اخرس رهيب . حاول الطفل ان يصيح ... أن ينادي أمه ولكنه لم يستطع ... لم تواته الجراة ... فأخذ ينشج بصمت مذعور محتميا بدف دموعه ...

لم يطق البقاء في الغرفة فأوصد بابها على عجل ، وهرع الى غرفة صديقه الجزائري سعدون ينشد عنده السلوان .

ـ أين وصلت في اطروحتك يا دكتورنا الهمام ؟

قالها سعدون واردف ذلك كعادته بضحكة مجلجلة .

ـ الى المرحلة الخطيرة التي تستوجب وقفات طويلة وشروحا عديدة. انت تعرف ان مضمون اطروحتي يعني بالاثر الذي خلفته حضارة السومريين في العراق على حضارة الاغريق في اوروبا .

ـ وماذا كانت النتيجة ؟؟

ـ النتيجة هي تبيان ذلك الاثر !

ـ فقط ! وهل هذا هو الهدف الوحيد من وراء دراستك ؟؟

ـ الهدف هو الكشف عن الحقيقة !

ـ الحقيقة وحدها لا تجدي يا صاحبي ! هل تشفي غليلك حقيقة كون العرب هم اصحاب فلسطين الشرعيين وان الصهاينة هم المغتصبون؟ قم بنا الان نبحث عما وراء الحقيقة في احدى صالات الرقص العامرة . لا تتردد ... هيا بنا !

الصالة تستحم بدفق من الانغام الراقصة وتتعرى في الق خضيب من انوار المصابيح المتدلية كعناقيد شقر الخدود ... وافواج الراقصين تنساق مع النغم فتارة تتهادى وتترنح في جذل وعناق وطورا تثب وتلف كأن بهم مسا من الجنون . ولكز سعدون صديقه مشجعا : « لا تقف هكذا كتمثال من الشمع ! تقدم وحاول ! »

ـ ليس الان ... بعد قليل ساجرب حظي !

ـ كما تشاء !.

واندفع سعدون الى الحلبة لينحني امام احدى الشقراوات الحسان بين زحمة الوجوه . وبدا له الجو خانقا يضغط على اعصابه فتسلل طالبا منها مشاركته رقصة التشاتشا .

وقف طويلا يحملق في الوجوه والاقدام ... وغاب عنه وجه صاحبه بهدوء الى الخارج ... ويمم وجهه شطر ضفة النهر ... كان النسيم عليلا والسماء صافية فراح يمشي دونما اعياء ... ووقف اخيرا امام برج ساعة الجامعة ليلتقط انفاسه . كانت آنذاك تدق منتصف الليل ... اثنتي عشرة دقة ... لتعلن ميلاد فجر جديد .

انكلترا   فوزي فريج

ذاك المساء

باردٌ ذاك المساءْ
وجيوش الريح تحتل المدينه
وفراغ موحش تفرزه الاسوار ، والشارع مجروح الجبينْ
وأنا أمضي مع الدور الحزينهْ
ليس في صمتي سوى خفقة نعلي الواهنه
وصدى أغنية تطرحها نافذة عند السماء

***

باردٌ ذاك المساءْ
لم يعد في أضلعي شيء سوى نبض الى شيء دفينْ
لم يعد في ظلمة الافق شعاع من حنين
وأتى الليل الى الغرفة في جفنيه ارهاص بشيء لا يبينْ
أيها الليل الحزين
ليس في بيتي أستار لاخفي مقلتيك
لست أعمى لا أرى ظل يديك
شبح يثقب احساسي وصمتي
يسكب الوحشة والحزن على رأسي وتختي
أين أروي رعشة المجهول في أضلاع بيتي

***

باردٌ ذاك المساءْ
وخطى ظلي مع الشارع تقتات الفراغ
أين أمضي
سأمٌ يحتل وجداني ونعلاي تلوكان الطريق
والفراغ اللزج ينهار على ظلي الغريق

***

باردٌ ذاك المساء
الخطى تولد في صمت حزين
الخطى نقش على صفحة ماء
الخطى أعمى وقد أجهده حب الضياء

***

حماه   ماجد حكواتي

مهدي عيسى الصقر

عندما تبدو كل الرياح ساكنة

(حكاية عن الاطفال ...)

الهواء ساكن .. يبدو ساكنا . وسرب من الحمام الابيض والرمادي يحلق في السماء الزرقاء الصافية ، يرتفع وينخفض ، يحوم حينا حول منارة مسجد قريب او ينساب قريبا من رؤوس النخيل والاشجار وانتينات التلفزيون ، والثياب الملونة المغسولة المنشورة على الحبال فوق اسطح المنازل . ومن فتحة باب الدرج المعتم فوق احد السطوح يخرج صبي في الثانية عشرة او اكثر قليلا يحمل بيده طائرة ورقية بيضاء كبيرة يتبعها ذنبها الطويل ، المصنوع من سلسلة من الحلقات المختلفة الالوان ، مثل افعى كبيرة تمرق بخفة من ظلام الدرج الى السطح المشمس . يتطلع الصبي حوله لحظات . لا احد . النخلة الوحيدة المنتصبة في فناء الدار تنشر سعفها الكثيف الداكن الخضرة مثل خيمة كبيرة تلقي جانبا من ظلالها السوداء الباردة فوق رأس الصبي الواقف الآن على السطح . يضع الصبي بكرة الخيط على الارض يرفع ذراعه بالطائرة ، يرخي لها الخيط ثم يشده وهو يتراجع الى الوراء . تختلج الطائرة في الهواء الساكن لحظات قصيرة ثم تتطوح وتهوي الى السطح مثل حجر ، ذنبها الطويل يرقد الى جانبها كومة من الالوان الزرقاءوالحمراء والخضراء فوق البلاط الاصفر الشاحب . ينحني الصبي عليها ، يرفعها عن الارض ، يعدل الخيط ويعاود المحاولة . ترتفع الطائرة قليلا ، يترك لها الخيط ثم يبدأ بشده في حركات صغيرة متتالية متراجعا بخطى سريعة والطائرة ترتعش في الهواء فوق رأسه . يصطدم بالحاجز الحجري الذي يفصله عن السطح المجاور ، يتوقف . تترنح الطائرة ثم تنقلب على ظهرها مثل سمكة كبيرة مسمومة وتهبط الى الارض من جديد . يحملها الصبي ويمضي بها الى بداية السطح متحاشيا الاصطدام بسعف النخلة الهابط من فوق الجدار .

على السطح المجاور تصعد صبية في العاشرة ترتدي ثوبا احمر وتحمل بين يديها سلة صغيرة زرقاء من (البلاستيك) تمتلىء بقطع ثياب مغسولة . تقترب من حبل الغسيل الممتد في الشمس مثل خط ابيض ، تضع السلة على الارض ، تتناول قطعة ملفوفة ، تنشرها ، ثم تقف على اطراف اصابعها وترفع ذراعيها بالثوب وترمي به على الحبل . يتهدل الحبل تحت ثقل القماش المبلل ويصبح بعد ذلك من السهل عليها نشر القطع الاخرى دون الحاجة الى الوقوف على اطراف اصابعها . عندما تهم بنشر القطعة الثانية من الثياب تلمح الصبي المنشغل بطائرته الورقية على السطح المجاور . تترك سلتها الصغيرة مهملة اسفل حبل الغسيل وتتجه صوب الحاجز الذي يفصل بين السطحين . الصبي يقف بعيدا عنها وظهره اليها وهي لا ترى وجهه ، ولكنها تستطيع من مكانها ان ترى – من بين ثنايا السعف ومن خلال الشقوق بين الخوص الاخضر – شعر راسه الاسود المصفوف بعناية واجزاء من بيجامته البيضاء المخططة بالازرق وطرفا من طائرته الورقية البيضاء وذيلها الملون الطويل . وتستطيع ان تلمح ايضا – بين حين واخر – وميض ساعته اليدوية الفضية اللون كلما تكسرت عليها اشعة الشمس وهو يطوح بيده الممسكة بخيط الطائرة في محاولاته المتكررة والعنيدة لجعل الطائرة تطير . تتشبث الصغيرة بحافة الجدار ، تجعل ذقنها يستقر على ظاهر كفيها وتتابع حركاته باهتمام .

يضع الصبي اصبعه في فمه ثم يخرجه ويرفعه في الهواء محاولا معرفة اتجاه الريح . يشعر ببرودة خفيفة تلف اصبعه المبلل من جميع الجهات . يقف حائرا بعض الوقت ، ثم يرخي الخيط قليلا لطائرته ويسحبها بقوة وهو يمشي الى الوراء . يرتطم ظهره برؤوس السعف ، يتنحى عنها فيتعثر بالبكرة التي تروح تتدحرج فوق السطح حتى ترتطم بالجدار مخلفة وراءها ، على البلاط الاصفر ، خيوطا متشابكة دقيقة بيضاء يعلق بعضها بقدميه . يسمع ضحكة ناعمة متصلة وراء ظهره . يلتفت يرى وجه الصغيرة المدور المحمر من الشمس ومن الضحك وهي لا تزال تكركر وراسها يهتز فوق الحاجز . يرمقها

بغضب فتكف عن الكركرة لكن عينيها تظلان تضحكان. يشيح بوجهه عنها . يضع الطائرة على الارض ، يرفع البكرة ويبدأ بلف الخيط . يصل الى الاجزاء المتشابكة . يمسك طرف الخيط بين اسنانه ويبدأ بحل العقد الكثيرة الواحدة بعد الاخرى في صبر . يسمع صوتها وراء ظهره يكايده . لن تطير طائرتك ! مهما تفعل لن تطير طائرتك ! لا يرد الصبي عليها . الخيط بين اسنانه يمنعه من فتح فمه وهو ايضا ليست به رغبة للكلام في هذه اللحظة . يجب ان يحل العقد اللعينة اولا . تصيح الصغيرة وراءه مرة اخرى . لن تطير طائرتك لانه لا يوجد هواء ! يظل الصبي صامتا . يحل بقية العقد بهدوء وعندما يفرغ منها كلها يفلت طرف الخيط من بين اسنانه ويلتفت اليها . كيف تتنفسين اذا كان لا يوجد هواء ؟! تضطرب عينا الصغيرة لحظات وهي تفكر في كلماته وتحاول الرد عليها ولكنها لا تجد جوابا ملائما . ترقب ظهره المبتعد عنها لحظات ثم تعود الى سلتها الصغيرة اسفل حبل الغسيل وتواصل نشر قطع الثياب على الحبل وهي ترنو اليه من بعيد بين حين وآخر . عندما تنتهي من عملها تحمل سلتها الفارغة وقبل ان تهبط الدرج تتوجه صوب الحاجز . الصبي يقف وسط السطح الآن ووجهه اليها هذه المرة والطائرة ترتعش على بعد قدمين من صدره وذيلها الطويل المتعدد الالوان يتلوى تحتها وجزء منه بطول قدم تقريبا يختلج على الارض. تصيح الصغيرة من مكانها : تعرف لماذا لا تطير طائرتك ؟ تنتظر ان يسألها : لماذا ؟ لكنه لا يسألها . ماذا تعرف طفلة صغيرة مثلها عن الطائرات ؟! تصيح هي مرة اخرى. لا تطير لان ذيلها طويل ! يلقي الصبي نظرة سريعة على الذنب المتأرجح . ربما هذا هو السبب .. ربما ذيلها الطويل هو الذي يمنعها من الصعود . لكنه مع ذلك لا يفعل شيئا للذنب في حضور الصغيرة ، ويواصل محاولاته اليائسة لجعل الطائرة ترتفع في الهواء . تسمع الصغيرة صوتا يناديها من داخل البيت . تدير ظهرها للصبي ، تعبر السطح المشمس وتختفي سلتها الزرقاء اولا ثم يختفي ثوبها الاحمر وشعرها الاسود في فوهة الدرج المعتمة . عندما يطمئن الصبي الى ذهاب الصغيرة يضع طائرته على الارض ، ينحني عليها ، يقطع جزءا كبيرا من ذيلها الطويل الملون ، يطوي الجزء المقطوع ويحشره في جيب بيجامته بسرعة . يرفع الطائرة عن الارض ويعتدل. يرفع ذراعه عاليا يفلتها من يده ثم يشد الخيط دافعا جسده الى الخلف . تترنح الطائرة فوق راسه بذنبها الملون المبتور لكنها ترفض التحليق . يتركها تحط على السطح وينظر اليها في غيظ ، ثم يدير ظهره اليها . يتجه صوب سرير حديدي عار ، في الركن القصي من السطح . يجلس على طرف السرير ويمسح بردن قميصه العرق الناضح من وجهه ورقبته . يحدق بامعان باطراف السعف الهابط من رأس النخلة . السعف ساكن .. يبدو ساكنا تماما ولا يقدر الصبي أن يلمح اية حركة توحي اليه باتجاه الريح . يتطلع ساهما الى طائرته الراقدة على الارض مثل حيوان غريب ميت . ينهض ويتجه اليها. قبل ان ينحني عليها يتوقف . يلمح — في الافق المضبب البعيد — شعلة لهب صفراء في رأس مدخنة عالية لمصفى النفط على الضفة الاخرى من النهر . الشعلة القصيرة تصعد الى الاعلى بشكل عمودي وكانها جزء متمم للمدخنة . يحدق فيها طويلا ويلحظ اخيرا في رأس الشعلة ، حيث يتمزق اللهب قطعا صغيرة متطايرة ويتبدد في الهواء ، اختلاجة خفيفة باتجاه الجنوب . ينحني على طائرته بعزم يرفعها عن الارض ويعطي وجهه للجنوب . يطلقها في الهواء ثم يشد الخيط ، تتطوح قليلا ، تسكن لحظة ثم تبدأ بالصعود فجأة .. هكذا .. وكأنها تعبت اخيرا من معاندة الصبي . يشرق وجهه ، يرخي لها الخيط شيئا فشيئا ببطء ولكن دون توقف . يلتفت الى السطح المجاور . لا يرى احدا . بعض الثياب الملونة المختلفة الحجوم تنتشر في الشمس فوق حبل الغسيل المتهدل . يتراجع ساحبا الخيط معه بحذر حتى يصل الجدار الفاصل بين السطحين . يتوقف عنده .

تخرج الصغيرة من عتمة السلم تحمل سلتها الزرقاء بين ذراعيها . ترنو الى سطح الجيران . ترى رأس الصبي الذي يبدو ساكنا الان وراء الحاجز . في البدء لا تعرف سببا لوقفته تلك ثم ترى احدى يديه مرفوعة قليلا وثابتة امام صدره وتلمح الخيط الابيض المشدود الذي يشق الفضاء الازرق بشكل يكاد يكون عاموديا ، فترفع رأسها بسرعة مع امتداد الخيط وتشاهد الطائرة وسط السماء الصافية الرحبة ، نقطة صغيرة بيضاء بذنب يبدو الآن داكنا وقصيرا . ترمي سلتها المليئة بالغسيل عند باب السلم وتهرع اليه .

دعني امسكها ! دعني امسكها بيدي !

يلتفت اليها الصبي منتصرا .

قلت انها لن تطير !

دعني امسكها قليلا !

لكنك قلت انها لن تطير !

امسكها قليلا .. قليلا فقط !

يمد الصبي يده اليها بالخيط من وراء الحاجز محتفظا بالبكرة في يده الاخرى . تطبق الصغيرة اصابعها على الخيط بحذر وقوة . تختلج الطائرة في السماء لحظة ثم تسكن من جديد . يشع وجه الصغيرة فرحا وهي تمتلك الطائرة المحلقة بين يدها وتشعر بجذب الخيط المتوتر تحت لحم اصابعها . وتبقى سلتها الصغيرة الزرقاء المليئة بالغسيل مهملة في مكانها عند رأس الدرج . يمسح الصبي العرق من على وجهه ورقبته . يستند بكتفه الى الجدار . ينقل نظراته — بارتياح ونشوة — بين النقطة البيضاء الثابتة في كبد السماء ووجه الصغيرة المشع !

بغداد

كانت(1) الساعة قد تجاوزت منتصف السادسة صباحا عندما ولجت مكتب سفريات القنيطرة من بابه المتخلع ، وحين احتواني المكان صفعت انفي رائحة كريهة ، هي مزيج من اختلاط رائحة المازوت والكاوتشوك بالعفونة الناتجة عن الرطوبة ودخان السجاير ، وانفاس الركاب الذين التفوا حول المدفأة بشكل غير منتظم ، يدخنون ويمضغون الكلام بملل .

وصاح بي احد الموجودين ، وقد ارعشته لفحة البرد التي تسربت الى المكان عند دخولي :

ـ اغلق الباب من فضلك ..

ونظرت اليه .. كان واحدا من جنود ثلاثة ، جلسوا صفا واحدا على مقعد عريض كانهم في طابور ، وكان يبدو على وجوههم التعب والاعياء كانهم لم يعرفوا النوم او الراحة منذ ايام واستدرت نحو الباب ودفعته برفق لايخلو من القوة ، فانطبق رتاجه وهو يحدث صوتا مزعجا تاركا وراءه تواترا غنيا باهتزازات ألواح الزجاج المتخلعة ، الامر الذي ذكرني بفرقة سينما راديو الموسيقية التي كانت تعزف مقطوعاتها الموسيقية خلال فترات الاستراحة . ورانَ الصمت لحظات ، وشعرت بان عيون الموجودين تتجه الي تكاد تلتهمني بتساؤلها ، ونظرت الى الجميع نظرة تافهة ، ثم اتجهت نحو قاطع التذاكر الذي كان يجلس قريبا من المدفأة وخلف طاولة عتيقة قذرة يعرك احدى عينيه ببطء وسألته مبددا الصمت الذي ساد المكان :

ـ في سيارة للقنيطرة ؟!

فهز رأسه بالايجاب وهو يغوص في معطفه الطويل المهتريء متثائبا من جديد ، وهارشا رأسه هذه المرة عوضا عن عرك عينه .

غير اني عدت الى سؤاله مستفهما وانا ادفع ثمن تذكرة السفر :

ـ ولكني لاارى سيارات امام المكتب ؟!

فاجابني وهو يسجل اسمي ومهنتي ويكح في الوقت نفسه :

ـ ستاتي السيارة بعد قليل .. جميعهم ينتظر مثلك ..

ولم اجبه واتخذت مكانا بعيدا عن المدفأة ، وعن الذين تحلقوا حولها، واخرجت من جيبي جريدة كنت قد اشتريتها لتعينني على السفر ، واخذت اقرأ مافيها ، وافحص المكان الذي انا فيه مرة اخرى ..

كانت هذه هي المرة الاولى التي يتاح لي فيها الجلوس داخل المكتب الذي كان اشبه بالمستودع القذر الكبير منه بمكتب للسفريات ، وكانت هناك ستائر مهلهلة تقسم المكان الى قسمين خلفي وأمامي ، ففي الزاوية اليسرى من القسم الخلفي ، قامت عجلات السيارات بعضها فوق بعض، ونهض بالقرب منها عدد من براميل المازوت ، وقبع على الارض ، وفي المكان الاكثر ظلاما ورطوبة فراش لاتعثر عليه العين الا بصعوبة ، وقد تبينت بفضل عدد من الجرذان التي كانت تتراكض قرب الفراش ، على انسان نائم فيه ، وعدا هذا كانت الارض ترابية ، كثيرة الحفر ، تنز منها الرطوبة بشكل ملحوظ يساعدها على ذلك صنبور ماء قام في حقيقته لاطفاء ظما المسافرين ، واضحى مع المفسلة المهشمة التي ركب عليها لايعرف غير ارواء الارض التي يسيل اليها الماء عبر المجرى المخلع الكثير الثقوب .

وعدت الى الجريدة اقرأ مافيها من اخبار ، حتى اذا وجدت الاخبار هي الاخبار نفسها التي تباع للقراء صباح كل يوم نظرت عبر زجاج الباب، فلم اتمكن من الرؤية ، كان الزجاج كثير النعرق بسبب الدفء الذي يسود المكان والبرد القارس الذي يغمر الطريق ، وكان قاطع التذاكر يعبث باصابعه دون ملل بالطبقة الرقيقة من الضباب التي تشكلت على زجاج الباب كي يتمكن من مراقبة الطريق انتظارا للسيارة الموعودة .

وتطلعت نحو الاشخاص المتحلقين حول المدفأة ، كان هناك غير الجنود الثلاثة شرطي مسن يجلس بجانبهم ، ويعبث بشاربه الكث دون ان يبدو عليه اي كدر او انزعاج بينما ازداد القلق بصورة بارزة على وجوه الجنود الثلاثة ، حتى ان احدهم سأل قاطع التذاكر متذمرا :

ـ قلت لنا السيارة لن تتاخر اكثر من عشر دقائق ، وها قد مضى علينا نصف ساعة ونحن ننتظر والسيارة لم تات ..

فاجاب قاطع التذاكر وهو يضع بين شفتيه لفافة من ارخص انواع التبغ :

ـ انا لم اكذب عليكم .. عشر دقائق ، ربع ساعة ، نصف ساعة ... على كل لن تتاخروا اكثر من ذلك ..

فقالت امراة اتخذت ركنا قصيا ويبدو على وجهها الاضطراب وقد وقف الى جوارها طفل في الثامنة او السابعة من عمره :

ـ الله يسمع منك ..

بينما قال الجندي الثاني وكان صوته يتناسب في خشنته مع طول وجهه :

ـ خط القنيطرة طوله وعرضه ينتظر سيارة واحدة فقط ..

وقال رجل كان يدخن كثيرا :

ـ لم يحدث مثل هذا التاخير قبلا .. ترى ما السبب ؟!

فقلب قاطع التذاكر شفته دون ان ينبس ببنت شفة بينما استمرت اصابعه تعبث كطفل صغير بضباب زجاج النافذة فترسم خطوطا طويلة وتقطعها باخرى عريضة ..

واغمض الجندي الذي لم يتكلم ابدا عينيه ، واسند رأسه الى الحائط ، وقد ساد الصمت من جديد الا من بعض السعال الذي كنت اقذفه بين الحين والاخر .

وراقبت المرأة والطفل الاشقر الذي معها مستغربا وجودها في هذه الساعة المبكرة من الصباح .. كانت تغطي وجهها بملاءة سوداء ، وتدل حركاتها العصبية واضطرابها على ان هناك مايزعجها ، وفجأة سأل رجل كان يرتدي طاقية من صوف ويتسربل بمعطف طويل كحلي اللون بلهجة الامر :

ـ اين اسعد ؟!

فاجابه قاطع التذاكر : انه نائم يا « ابو احمد » ..

ثم اردف : أتريد شيئا ؟!

فصاح الرجل متعجبا : نائم .. حتى الان .. لم لم يستيقظ ؟!

فقال قاطع التذاكر وكانه يعتذر : تاخر في سهرته قليلا ليلة امس..

فتمتم الرجل مستفهما وهو يتلفت حوله متفحصا المكان : ولكني لا ارى المكان نظيفا .. ثم تابع قوله : لاتخدعني .. انه لم ينظف المكان قبل نومه اليس كذلك ؟!

وكبت ضحكة كادت تفلت مني وتساءلت بيني وبين نفسي :

ـ ترى هل تجدي النظافة في مكان كهذا ؟!

واجاب قاطع التذاكر : انا لم اخدعك ، وكل مافي الامر انه سهر

---

1 ـ هذه القصة اذيعت في البرنامج الثاني بالقاهرة .

قليلا ليلة امس ثم عاد ليأوي الى فراشه .

فقال ابو احمد غاضبا : ايقظه .. ايقظه .. حسبته نظف المكان قبل ان ياوي الى فراشه ..

فصاح قاطع التذاكر بملء فيه مناديا : اسعد .. اسعد ..

فلما لم يجبه احد قال مخاطبا معلمه : لقد اخذ مني البارحة ثلاث ليرات على حساب اجرته ..

وحك ابو احمد ذقنه مفكرا بينما وقف الطفل الاشقر قبالة امه صائحا بما يشبه الهمس :

ــ انا جوعان ؟!

فاجابته امه : بعد قليل تاكل في البيت ..

وضرب الطفل الارض بقدميه الصغيرتين وعاد يقول في عناد : ولكني جوعان .. « بدي آكل .. وانقذ الام من حيرتها وارتباكها صوت قاطع التذاكر الذي جلب اهتمام الصغير وهو يصيح : اسعد .. اسعد .. وجاءه من خلف الستائر القذرة صوت واهن ضعيف :

ــ كفاك صياحا لقد نهضت ..

ونظرت الى الفراش الرابض فيه .. كان يتحرك فيه متململا ، وكان ثمة جرذ يتحرك هو الاخر في نهاية الفراش . وتحولت نظرات الصغير نحو الجندي الذي عاد يوجه حديثه الى قاطع التذاكر وقد تبينت في لهجته هذه المرة مايدل على انه من منطقة جبلية :

ــ تقدر ياسيد ان تقول لي متى ستاتي السيارة ؟!

فقال قاطع التذاكر بلا مبالاة وكانه اعتاد مثل هذه الاسئلة او ملها :

ــ بعد خمس دقائق على الاكثر ..

فعاد الجندي يقول في الحاح : مضت ساعة ونحن ننتظر ..

ولم يجبه قاطع التذاكر مباشرة غير انه سال بعد قليل : لم انتم في عجلة ...

فقال الجندي : اتدري يا رجل باني لم انم منذ ليال ثلاث ..

ــ حقا .. ولماذا ؟!

فاجابه الجندي الثاني متجاهلا سؤال قاطع التذاكر : ولا انا ؟!

فسال رفيقه : واين ماذونيتك ؟!

ــ لقد ذهبت الى البلد .. راوني جنديا قد الدنيا .. كان الجميع ينظرون الي باحترام ..

فساله صديقه : أو لم تنم طوال هذه المدة ؟!

فرد عليه باقتضاب : لقد تزوجت ؟!

فاغرق الجندي الاول بالضحك وقال : تزوجت .. اذن فالعروس هي التي اطارت النوم من عينيك ..

فاجابه هذا ضاحكا : اجل .. حقا ان الزواج شيء جميل ، ولكن تصور ياأخي ماذونية زواجي خمسة ايام فقط ..

ــ خمسة ايام فقط ؟!

ــ اجل .. ولكنني عائد الى رئيسي لاجددها منه .. انه رجل طيب ، ولكن هل يمكنك ان تتصور انسانا يفترق عن عروسه بعد ايام خمسة من عقد قرانه عليها .. انها مصيبة ..

وقهقه الجنديان ببساطة ، وارتسمت على شفتي الشرطي الذي لم يتكلم ابدا ابتسامة حلوة ، بينما كف فم قاطع التذاكر عن التثاؤب ،حتى اذا هدأت موجة الضحك قال الجندي الاول مخاطبا قاطع التذاكر من جديد :

ــ نعود الى سيارتك المحترمة .. متى سيكون تشريفها الكريم ..

فاجابه هذا مقاطعا : لم انتم في عجلة .. الا ترون كيف يمضي الوقت دون ان نشعر ..

وقالت المراة : الهي تسوق السيارة .. زوجي مريض ولم اجد الدواء في القنيطرة واضطررت الى ركوب شاحنة مع ابني لاشتري له الدواء من الشام ..

وقال الرجل الذي مافتيء يدخن : ان شاء الله خير .. ان شاء الله خير .. وصاح الطفل مقاطعا الرجل : انا جوعان .. جوعان ..

كانت الدموع تومض في عينيه ، وبدأ كأنه على وشك البكاء ، ونظرت الى الساعة ، كان العقربان يشيران الى السادسة والنصف ، وبدأ القلق يغزو نفسي انا الاخر ، فانا معلم مدرسة ، وجل مااخشاه ان اصل بدوري متاخرا ، فاضطر للاعتذار ثانية لمدير مدرستنا الطيب ..

وعاد ابو احمد يتساءل مع قاطع التذاكر : يظهر ان اسعد قد عاد للنوم.

وصاح قاطع التذاكر من جديد : اسعد .. اسعد ..

فاجابه صوت من خلف الستار يقول يقول : صبرا .. اني ارتدي ثيابي .. دقيقة واحدة .. دقيقة واحدة ..

ــ اسرع فان « ابو » احمد مستاء منك ..

وايقظ صوت بائع التذاكر الجندي الذي بقي نائما طوال الوقت فهب مذعورا وهو يسال :

ــ اجاءت السيارة ؟! اجاءت ..

فرد عليه زميلاه : لم تات بعد .. عد الى نومك ..

فجلس على مهل ثم سال بعد ان اشعل لنفسه سيجارة : كم الساعة الان ؟!

فاجابه الشرطي بصوت ممطوط وهو يحدق في ساعته : الساعة السابعة الا عشر دقائق ..

ــ ماذا تقول ؟!

وهب واقفا من جديد ومعه صديقاه وقد ظهر الفزع في اعينهم والارتباك في حركاتهم وقال احدهم مهدئا من صوته : الله يلعن ها المكتب وها الخط .. ان رئيسنا دقيق جدا ..

لاشك بانه سيحرمنا في المستقبل من الماذونيات اذا تاخرنا اكثر من ذلك ..

واربكهم هذا فاحتاروا ماذا يفعلون ، غير انهم مالبثوا حتى عادوا الى جلستهم وقال الرجل الكثير التدخين : لم يحدث مثل هذا قبلا ..

وقالت المراة : جل مااخشاه ان اصل متاخرة ، فلا يفيده الدواء

فتاة في المدينة ..

مجموعة اقاصيص بقلم

محمد ابو المعاطي ابو النجا

دار الآداب　　صدر حديثا

يدخن ثم سأل الشرطي الذي يجلس بجواره : اراك في عجلة من امرك، اليس هناك ما يضطرك الى السفر بسرعة ؟!

وانفرجت اسارير الشرطي قليلا ثم اجاب : بلى ... انا في شوق للوصول الى بلدتي ... في شوق لان ارى اسرتي .. زوجي واولادي، مضى عام علي دون ان اراهم .

ولكن ماذا يفيد الاحتجاج ما دامت السيارة لم تات.. اني اتحرق شوقا الى لقياهم ، ولكن التجارب في الحياة علمتني الصبر ..

وهز الجندي براسه موافقا ، ونهض رب العمل ابو احمد واخذ يسير ببطء وقد بدا متجهم الاسارير ، فنظر من وراء الزجاج الى الطريق وهو يعبث بسبحته ، ثم ما لبث حتى ارتد الى مكانه ليعاود النظر الى الستار وكله امل في ان تنفرج عن اسعد ..

ومرت دقائق ثم تحركت الستائر قليلا ، وظهر خلفها اسعد ، وهو يتمطى ، ويصلح في الوقت نفسه من شان ثيابه ...

واتجهت الانظار اليه ، كان فاره الطول ، مليح القسمات ،قوي الجسد ، ثابت النظرات ...

وصاح فيه معلمه بحنق : اين سهرت البارحة ؟

فنظر اليه اسعد في بلادة متعجبا ولم يجبه ، ثم ادار ظهره وتوجه نحو المغسلة وبدا يغسل وجهه بهدوء ، والماء يتسرب ببطء الى الارض..

وقال قاطع التذاكر : يا اسعد معلمنا عم يسالك فاجبه ؟!

ولم يجب اسعد بشيء ..

واخذت المياه المتسربة من انبوب المغسلة ، تكون مستنقعا صغيرا على ارضية المكان ، ولذ لي مراقبة المشهد ..

من حق اسعد الا يجيب اطلاقا .. الا يقوم بعمله ، هل يتدخل في شؤون الاخرين ؟! اذن ما دخل معلمه بشؤونه الخاصة ؟!

وتمنيت من اعماقي الا يجيب هذا العامل المفتول الساعدين بشيء .

وصاح الطفل في امه بغتة : انا جوعان .. جوعان .. بدي آكل ..

وعاد المعلم يسأل دون ان يعبأ باللفظ الدائر بين الام وطفلها :

سلم لم تستيقظ باكرا ، وتنظف المكان كعادتك ؟!

ولم يجبه اسعد ايضا بشيء ، وبدا كانه اعتزم الصمت ..

وقال قاطع التذاكر يستحثه : جاوبه يا اسعد .. جاوبه. . انه معلمنا ..

واستدار نحوهما ببطء ورمقهما ببلاهة ، ثم نظر الى الطفل الاشقر، وراقبه قليلا وهو يلح على امه بالطعام ، ثم اقترب من الستائر فجذبها نحو وجهه واخذ يجففه بها :

وقالت المراة : الله يسوق السيارة .. لقد تاخرت كثيرا ..

ونظر اليها اسعد ، ثم نقل نظراته بين قاطع التذاكر ومعلمه ، وكان غضب معلمه المفتعل قد اغاظه ، فضحك ضحكة ساخرة خافتة ثم دلف الى ما وراء الستار فغاب قليلا ، وعاد يحمل معه في يده سطلا ومقشة خشنة فوضع السطل تحت صنبور الماء ليملاه بينما اخذ يكنس الارض مثيرا التراب شيئا فشيئا .

واثار صمته عصبية معلمه فصاح فيه بلهجة امرة :

ـ توقف عن الشغل ..

ثم التفت الى قاطع التذاكر وقال بغضب :

اذن اعطه ست ليرات واصرفه حالا ..

ـ اعطه بقية اجرته واصرفه .. قلت انه اخذ ثلاث ليرات اليس كذلك..

وهز اسعد راسه والقى بالمقشة من يده ، وسد صنبور الماء ثم اقترب بهدوء من قاطع التذاكر فقبض اجرته ، ودسها في جيبه ، ثم رفع باقة سترته المهترئة في اكثر اجزائها ، وابتسم في وجه الطفل الباكي الذي كان ينظر اليه في براءة وفتح الباب ..

ومع فتحة الباب دخلت لفحة من الهواء البارد ، اصابت الموجودين في موجة ذعر جعلت اكثرهم : يصيح : اغلق الباب .. اغلق الباب ..

ولم يكترث لصياحهم ووقف ينظر الى الامطار التي بدات تهطل ثم حفق الباب خلفه ..

وتابعت شبحه من خلف الزجاج حتى ابتلعه الفراغ ... فراغ الطريق، وزحمة المطر .

وهمس الجندي شيئا في اذن الشرطي وهو يرجوه ، فهز الشرطي راسه موافقا ، ونهض ببطء واقترب من المعلم الذي بدا كانه يخاطب الركاب بقوله :

ـ الله يلعن هالزمن .. قبل شهرين جاءنا وما معه فرنك ..اطعمناه وكسيناه وشغلناه وما مر « الشهرين » حتى اصبح من النوات لا يتنازل ولا يرضى ولا يتفضل حتى بالرد علي انا معلمه وولي نعمته ..

قاطعه الشرطي دون ان يعبأ باقواله بلهجة ضمنها الوعيد :

ـ دع هذا الكلام واذهب دبر لنا سيارة احسن لك ؟!

فتغيرت لهجة المعلم واجاب متلعثما : كما تامر يا سيدي .. سندبر لكم سيارة حالا .. حالا .. امهلني بعض الوقت فقط ..

واقترب المعلم من قاطع التذاكر وساله : ماذا اعطيت الولد ؟

فاجابه هذا : ست ليرات كما امرتني ..

ـ والبارحة ؟ !

ـ ثلاث ليرات ..

فقال المعلم مستفهما : اجرته ثماني ليرات فكيف تعطيه تسع ليرات..

فاجابه قاطع التذاكر : لقد صحت بي قبل قليل ان اعطيه ست ليرات وقد فعلت ما امرتني به ..

ـ ابدا ليس هذا بصحيح ..

فقال قاطع التذاكر مضطربا : اسال الحاضرين .. اسالهم .. الم يقل لي ..

ـ لن اسال احدا .. لقد ذهب، وذهبت معه الليرة ، انه لص.. لقد اصبح بعيدا الان .. حقا لقد فعلت حسنا بالتخلص منه ..

وارتفع في تلك اللحظة صوت نفير السيارة القادمة ، فصاح الرجل الذي كان يدخن كثيرا :

ـ لقد جاءت اخيرا ..

وصاح المعلم : سا حسم الليرة من راتبك يا « ابو » علي انا ما لي علاقة ..انت الذي اعطيته ليرة زيادة على اجرته ..

ونهضت في تلك اللحظة مع الجنود والشرطي وسائر الركاب لنتخذ امكنتنا في السيارة، وقبل ان نفتح الباب لنخرج من اجل ذلك ، وفي خلال الزحام الذي حدث بسبب قدوم السيارة ، انفتح الباب ، فجاة، وبدا في فرجته اسعد بقامته المديدة وقسماته المليحة التي تتضح بالطيب، وبعينيه الزرقاوين الهادئتين ، ومياه المطر تبلل وجهه وثيابه الرثة ، وكان ياكل كعكة طرية بينما حمل في يده الاخرى كعكة ثانية ..

وقبل ان يفيق المعلم وقاطع التذاكر من دهشتهما ، شق طريقه نحو الطفل الصغير فحمله بين ذراعيه واعطاه الكعكة الثانية ثم قبله ومسح على شعره الذهبي بيده الثقيلة واعاده الى الارض ، ومن ثم رمقنا ببلاهة وصاح وهو يقذف قاطع التذاكر بليرة فضية :

ـ خذ هذه الليرة يا « ابو » علي قبل ان يحسمها المعلم من اجرتك.

دمشق

صميم الشريف

طبعت على مطابع :

دار الغد للطباعة والنشر

تلفون : ٢٢٢٩٢١

الساعة تدق التاسعة .. وفريد جالس الى المنضدة يكتب وظائفه ويراجع دروسه . وامه تحاول ان تحل له ما استعصى على عقله الصغير وانا انقل الطرف بين فريد وامه . كانت فريدة امرأة في الثلاثين من عمرها فقدت زوجها وظلت وحيدة بلا زوج . وكنت قد عرفتها منذ عام ، ولم تتعد علاقتنا حدود الصداقة التي تمضي بين فنجان قهوة وسيكارة .. وقد يطول الوقت لقراءة بعض قصائد الشعراء القدماء او المحدثين !

كانت فريدة امرأة فنانة بطبعها . تحب الحديث والسمر وتتذوق الادب والفن . وتحب الاصدقاء وتخلص لهم وتبادلهم مما كانت تطفح به نفسها وافكارها . وكانت لها حياتها الخاصة التي تحرص عليها فلا يعرفها الا من شارك فيها . وكنت ازورها بين الحين والحين ، مرة نكون وحدنا ، ومرة التقي عندها ببعض الاصدقاء والصديقات فنجلس في الشرفة حيث تمتد امامنا بساتين خضراء وفيلات متناثرة تضم مئات القلوب السعيدة .

سالتني فريدة قبل يومين ان اخابرها لنتفق على موعد نلتقي فيه . اذ عندما لقيتها اول امس كانت الصانعة موجودة ، تساهم في تنظيف الغرف وغسل البياضات . وابتسمت فريدة .. ان صانعتها القديمة قد تزوجتوهذه تحضر فيالاسبوع مرتين، وقالت ليوهي تكمل ابتسامتها:

ـ ان حظك اليوم جاء متاخرا .. لقد سبقتك الي الغسالة !

انني منذ عام احب هذه المراة .. ولكن دون جدوى . كانت العلاقة فيما بيننا لا تتعدى بعض القبلات بين الحين والحين . قد ازورها لثلاث مرات فلا انال شيئا ، وقد ازورها وانال منها في كل مرة ، قبلة او اكثر .. لكن الجنة المفتحة الابواب ، كانت تبدو بعيدة ، تحجبها غابة من زهور البنفسج العطرة !

في اخر الجلسة اول امس قلت لها :

ـ لعلك تتفرغين ذات يوم قريب ، قبل ان اسافر ؟

فاجابتني بلطف :

ـ كنت اريد ان اسالك ذلك .. ارجو ان تخابرني صباح الغد

خابرتها صباح اليوم فاعتذرت ببعض الاشغال .. ولا ادري كيف خابرتها مساء ، فاجابتني :

ـ حدثني بعد نصف ساعة فقد اتفرغ كلية .. وان لم استطع فان الغد كله سيكون لك وحدك ! داعبتني هذه الكلمات الرقيقة فهزت مني الفؤاد .. وتذكرت طريقة تعبيرها واسلوبها فادركت ان اليوم غير الايام التي ذهبت . انه يوم لي وحدي .. لانه موعد غرام حقيقي !!

كان فريد لا يزال يقرأ دروسه . وهي تساعده .. تنظر اليه مرة والى مرة ، وترجوني ان اتحدث ، ولكنني كنت في شغل عنها وعن فريد. لقد تذكرت نفسي . انني اليوم لم اتزوج بعد . انني انا الاخر اوشك ان ابلغ الثلاثين . ولم ازل وحيدا . لازوجة لي تحبني ولا ولد ابصر فيه صورة نقية من ايامي الحلوة التي اعقبت زواجنا .

خابرتها بعد نصف ساعة فقالت لي مستبشرة :

ـ استطيع ان ارحب بك .. تفضل !

واسرعت اليها . فصعدت الدرجات القليلة ووضعت اصبعي على الجرس .. فكانت فريدة هي التي تفتح الباب .. لقد كانت اصغر من عمرها الحقيقي .. وكانت رقيقة وعيناها السوداوان وبشرتها البيضاء وشفتها الوردية ، تفتح لي طريقا الى جنة ، احتجبت خلف غابة من زهور البنفسج !

اخذت فريدة تستعجل فريد ، للانتهاء من الدراسة ، والذهاب به الى غرفته للنوم . ان الساعة توشك ان تدق العاشرة .. وهي تحسب دقائقها وثوانيها مثل ما احسب واكثر .. لانها تريد ان تستريح على الاريكة وتدخن سيجارتها وتسمع مني الاحاديث !

ولكن فريد كان ينظر الي ويبتسم . ياالله كم كانت نظراته بريئة صافية .. لقد عرتني عيناه من اجنحتي التي حلقت بها لموعدي . ثم اعاد فريد نظراته فاخترقت حجب الجسد واستقرت في القلب والضمير .. كانت عيناه السوداوان البريئتان تتاملان وجهي بهدوء ويتخلله ابتسام مضيء .. وفجاة سال فريد امه :

ـ لماذا لا يمكث الاستاذ محمود عندنا يا اماه ؟

فاجابته ، مطرقة الراس :

ـ لعله لا يستريح عندنا .. انك تضايق الاستاذ يا فريد .. قم الى النوم يا حبيبي . .

ابتسم فريد من اعماقه .. لقد فقد اباه منذ ثلاث سنوات . كان له من العمر اربع سنوات . ان الاب كلمة يقرأها في الكتاب . اما الاب في المنزل فخيال لا يدركه الاطفال الذين في سنه . لعله كان يامل ان امكث عنده في المنزل ،فاعوض عليه ، ما فقده من حنان !

كانت الساعة تدق ، والاضواء يزداد سطوعها كلما تعمقت الظلمة في الخارج .. وانا احس بالقشعريرة من نظرات فريد الفاحصة .. التي كان يوزعها بيني وبين امه ، ثم يعقب كل نظرة بابتسامة حنان لا توصف.

ادركتني موجة عاتية من برد الضمير .. وساءلت نفسي :

ـ اتكون عيون الاطفال الى هذا الحد متفحصة لخبايا الصدور ؟

ولكني لم اسمع جوابا .. لقد شغلتني عينا فريد الواسعتان ..واماتتا في قلبي حرارة الرغبة في اللقاء وكل الاماني التي تراود خيال رجل عندما يطرق باب منزل سيدة في الثلاثين ، فقدت زوجها منذ ثلاث سنوات !! وتذكرت تجربة حب فشلت بعد ان عمرت عاما ، لان عيون الاطفال كانت تميت في نفسي حرارة المودة لتخلق من جديد صفاء لا يجده الانسان الا في بردي اخ او اخت مخلصة . كانت نفسي لا تقوى يومذاك على تحمل القيام بتمثيل ادوار الخداع امام الاطفال ... وامام امهم في غيبة من الزوج . لقد كانت بساطتهم تتغلب على كل اساليب المراة اذا احبت وارادت ان تيسر لحبيبها فرص اللقاء ولو اصطدمتبجثث اطفالها !!

قام فريد بعد جهد الى غرفته ، البسته امه منامته الناعمة الملونة واضحى براءة كله . ورمقني بنظرة قضت على اخر الافكار الشيطانية التي

كانت تعشش في رأسي التعب . فلما مضى وفريدة تتبعه الى سريره، كانت عيناي تلتهبان بجمر ، لم يلبث ان ذاب فكان دمعا انسكب على الخدين في صمت حزين .

عادت فريدة ضاحكة . لقد تخلصت من فريد واغلقت عليه باب الغرفة، ثم جلست بجانبي ، ولكنها عندما وجدتني ابكي .. تظاهرت بالانشغال لاعداد فنجان قهوة برعت فريدة في اعدادها !

انتابتني عاطفتان . الاولى تدفعني للهرب . ان هذا المنزل ليس منزلي. ان الليلة ليلة تقتحم فيها غابة البنفسج .. انها ليلة شيطان !! صحيح انني احبها وهي تحبني ولولا حبها اياي لما ضربت موعدا واغلقت خلفنا الباب وتركت العالم كله ينتظر .. ولكن عيون الاطفال المتمثلة في عيني فريدة اماتت في نفسي اخر ما تمنحه العاطفة من قوة للرجل ليكون قادرا على اسعاد من يحب . اما العاطفة الثانية فهي مستمدة من واقع حياة فريدة وحياتي معها . انها بصرتني بالفشل في التجربة الاولى .. ان السيدة التي تركتها من اجل اطفالها لا تزال تستقبل من هو قادر على خداعهم ! وها هي تبصرني بالفشل في هذه التجربة ايضا . ان فريدة سوف تضحك مني وستهزأ بي. انها لن تقتنع بصدق عاطفتي وافكاري.. ولن تعول على فريد او على عينيه ، لتفعلا بي كل ما ساقصه عليها . وبت لا استطيع الحركة والتفكير نتيجة لهذه المأساة التي قد تلازم اولى ليالي الحب العميق عندما يكون نابعا من القلب ، ويدعى المحبان لقطف ناضج الثمار .

لم تهرب فريدة . لقد ثبتت .. حدثتها عن كل شيء ،ولكنها كانت وهي تسمع حديثي ، تسحب انفاسا عميقة من سيجارتها .. وظلت صامتة فلم تتحدث ولو بكلمة .. لعلها كانت في حيرة مما فعلته بي عينا طفلها وبين ما تريده كامرأة في ليلة فريدة !

استأذنتني لحظة لتطل على فريد .. قالت لي :

ـ ان فريد في بداية نومه ينزع عنه الغطاء .. لن اتأخر يا محمود !!

بينما كانت فريدة تدخل غرفة طفلها ، كنت اجمع اطراف شجاعتي واهرب . في الطريق كانت الاضواء تهتز من كثرة ما كانت اجنحة الريح تضربها وتعبث بها ، والاشجار تتساقط اوراقها الصفراء بغزارة . وبدأت اتنسم الحياة من جديد . واخذت ابتسم بينما كنت ابكي ولكن بمسرة هذه المرة . لقد تركت فريدة عند ابنها .. انه بحاجة اليها اكثر مني .. سوف تخرج بعد قليل .. ستتفقدني في الحمام .. علها تظن انني ذهبت اغسل وجهي بالماء البارد لاطرح اثار الدموع في الحوض .. ولكنها لن تلقاني .. ستعلم بعد قليل انني هربت .. ولا ادري ماذا ستقول عني !

كانت عينا فريد لا تزالان تلاحقاني ، ولكنهما كانتا بشوشتين . وكان وجه فريد مطبوعا على كل شيء اراه في طريقي . كنت اراه على وجوه السيدات والرجال ، وكان يتوضح كثيرا على وجوه الاطفال العائدين في صحبة ابائهم الى المنازل . ولكن عيني لا تزالان تدمعان . كنت احس بلهفة جارحة لرؤية فريد . فاجثم على قدميه اقبلهما معتذرا .. لانه كان طفلا بسيطا بريئا ، كشف بعينيه انني سوف اخدعه ، سوف الوث له صرح وجوده ، وساترك اثار اقدامي فوق بنفسج امه وانا في طريقي الى باب جنتها المغلق !!

ولا ادري كيف رفعت وجهي الى السماء ، بينما عشرات السيارات ومئات المارة حولي . فوجدت عيني فريد تشعان الى جانب النجوم .. واحسست ان الهواء قد تعطر بزهور البنفسج ، فكانه قد مر في طريقه الي بغابة البنفسج العذراء !!

حمص — علي بدور

عودة الى المعبد

يا شعبي المعبود هددني الصقيع وما التحقت بغير حبك
أنا صيحة الثلج المحطم فوق قلبك
انا قد عرفت الحب يوما
قد عشقت بغير دربك
ورأيت كل سواحلي تمضي وتغرق
الاعين النجلاء والوجه المنسق
اللهو والترف البديع وخطو فاتنتي المصفق
وقصائدي شرب الضباب عروقها
واسود بين عيونها وجه الخريف
وصديقتي لبست قناعا من تراب
البدر أقسم سوف لا يدع السحاب
وقصائدي كانت تضيع بلا ثواب
ولانها كانت تقال لغير حبك
خفتت لحون ربيعها
احترقت بشهبك
يا ضيعة الكلمات تأكلها فلاه ،
يا بؤسه من معبد هجرته اصداء الصلاه
لكنني وانا اوسد للظلام قصائدي
بغرام عابثة تجيء وتبعد
ورياح شيطان تدنس مسجدي
ابصرتها عادت جميع سواحلي
وشراعي المجروح تنسجه مئات مغازل
فركبت نحوك الف طير عاجل
واذا انا بشعاع حبك اهتدي
واذا هنالك في ضفافك معبدي
النجم يكتب في جبينك كل احلام الغد
ببحيرة العرق المقدس قد غسلت انا يدي
واتيت تسبقني الدموع لتوبتي
ماتت لغيرك صبوتي
ولحسن وجهك انت يا شعبي ارتل غنوتي
فالثلج يسكن كل درب غير دربك
وانا يهددني الصقيع
وما عرفت الدفء يوما غير حبك !

القاهرة — محمد ابراهيم ابوسنه

قمر من زمان الطفولة

عبد الكريم يحيى عبد الكريم

مِنَ الغبش المزدهي بأريج السّريرةِ . . يَطْلَعُ :
وَجْهٌ من الماءِ . . عَذْبٌ
شَعْرٌ ينام على الكتفين
وعينان ـ عصفورتَانِ
تَرِفّان بين البيوت وبين الحقولْ
ويلبس قبّعةً من وَجَلْ
يجيءُ . .
وفي عبّه أغنياتٌ، وأسماءُ مبهمةٌ، وحكايا
يُعابثني مثل فَرْخ حمامٍ
يداعب وجهي . . ويغمرني بالقُبَلْ
يزقزقُ . .
يفتح نافذةً في دهاليز ذاكرتي :
إنّه الحلوُ . . يُخْبِيءُ جِنْحَيْه بين ضلوع الشّجَرْ
وينبتُ سنبلةً في المطرْ
يُطوِّف بين ضفاف الزُّقاقْ
ويركض كالمُهْر خلف الرّفاقْ
يدحرج تكويرةً من قماشٍ
يخربش في دفترٍ أثريّ
ويرسم منتشياً ما يشاء :
(شموساً
طيورَ غمامٍ
بيوتاً ـ ضباباً
وقوساً من الألَق المطريّ يسافر بين السّماء وبين السّماءْ
سُنُونوَةً تنقر الماءَ
نهراً من الورقَ الميْتِ في الرّيح
أو شجراً خَضِلاً بالدّموعْ) .
يحطُّ المساءْ
ويبتلع الأرضَ . . هذي العفاريتُ تخرج من جُبّة الليلِ
تزحف في الطّرقات . . تعربدُ
تَفْغَرُ هاويةً من جحيم

يحطُّ المساءْ
تضوع الحكايةُ عن طائرٍ أخضرِ الوجهِ
يسبح بين الحواري . . ويرفع أغرودةً من بكاءْ:
أنا الطّائرُ الأخضرُ
أنا الآهُ ـ والخنجرُ
بصدري . . لا يسكرُ
تضوع الحكايةُ:
جنّيّةٌ تلبس الأرجوانَ
وتخرج في الليل للأرضِ
تبحث عن عاشقٍ لتنام على يدهِ ـ الأقحوانةِ . . حتّى النّهار
يزقزق . .
يفتح نافذةً في دهاليز ذاكرتي:
قَمَرٌ أبيضٌ . . أبيضٌ . . لؤلؤٌ . . شامخٌ فوق ليل المدينةِ
سُورٌ عتيقٌ
ومئذنةٌ تشرئبُّ
وأغنيةٌ تتأرجح بين البيوتْ
ـ هو العيدْ
يا ليلةَ العيدِ . . لا لن أنامَ إلى أن يكون الصباحُ السعيدْ.

* * *

إلى أين ترحلْ يا ذا الضّفيرةْ؟
إلى أين تمضي؟
أتحلم أن تتحرّق كلُّ الفصول بلحظة ومض
لتخلعَ عنكَ قميصَ الزّغب؟
أعشتَ ربيعَكَ بين الفصولِ . . لكي تتسلّق أرضَ التّعَبْ؟
ألا اركضْ . . وغنّ
على عتبات المدينةِ
بين شعاب الأزقّةِ
طيِّرْ حمامَتَكَ الورقيّة في سَرْحَةِ التّلّ . . عند الضّريحِ
أو ادْخلْ إلى رحم «الأكِدِنيا»
صغيراً نبيّاً
وغصناً طريّاً.
حَبَبْتُكَ يا أيُّها الطّفلُ
كيف افترقنا؟
وكيف نسلتَ جناحَيْكَ منّي؟
حَبَبْتُكَ . . يا ليت يوماً تعود إليّا
بكلِّ الكتابات والخربشات
بكلِّ الحماقات والتّرهات
وتحمل لي في يديْكَ حصاةً من النّهر
أو صَدفاً
أو قِلادَةَ طيرٍ.
سلامٌ عليك أياذا الضّفيرةِ . . ألفُ سلامْ
سقى الحبُّ أرضَكَ ـ أرضَ القرنفل
ضوّأتَ فيّ قبابَ الظّلامْ.

حمص

من كتاب الطفولة

أبداً أحن الى صبايا الحلو . . . بالأمس البعيد
أبداً أحنّ الى الطفولة ذاكراً عيشي السعيد
أيام كنت اعيش في دار من الطين الصليد
أحيا وأمي ، والدجاج .. وكلبنا المدعو شديد
وأراني البيضاء تجفل إن دوى صوت بعيد
فتغيب بين جحورها .. لتطل في حذر شديد
والشاة تمشي في خلال الدار ، في خطو وئيد
و « الزير » .. في ركن يقوم على قوائم من حديد
.. فإذا جلسنا للعشاء .. وإن « صحن » وحيد
القطة السوداء تخطف من يدي لقَم الثريد
فأصيح فيها زاجراً !.. وأظل اسرف في الوعيد
فتقول أمي كم تثور !!.. وكن رحيماً .. يا عنيد
.. حتى إذا فرغ العشاء ، .. وغلّف الصمت الوجود
آويت والأم الرؤوم الى سرير من جريد
لأظل يقظاناً ، أجيل الطرف في الليل الشديد
نهباً لأفكاري الوديئة ، تزحم الصمت المديد
. . فكأن ارض « القاعة » السوداء تعلو او تميد
. . وكأن من أقصى اليمين . . يقوم شيطان مريد
في رأسه عينان قد بدتا كمحمرّ الحديد . .
حتى يداهمني النعاس ، ويغلب النوم السهود .
لأفيق والفجر الجديد يضيء آفاق الوجود
فأهبّ موفور النشاط ، يرودني امل جديد ! !

★

ايام كان ابي يجيء ، بما احب وما اريد
قطعٍ من الحلوى الصغيرة ، طعمها حلو فريد
يحشو بها جيبي .. ويضحك إن أشرت الى المزيد
ويقول إقنع بالقليل ، يزِدْ لنا رب مجيد . .
او ذلك « المليم » آخذه . . فيغمرني السعود
. . قد كان رغم الفقر والاملاق ، والبؤس الشديد
يسعى الى تحقيق ما ارجو . . ليجعلني سعيد . .

★

انا لست أنسى مشية الخيلاء في الثوب الجديد . .
انا لست أنسى فرحة الاطفال بالعيد السعيد . .
أنا لست أنسى رحلة الاسبوع للسوق « البعيد »
أنا لست أنسى منظر « الطوّاف » يأتي بالبريد !
أنا لست أنسى منظر « الفيضان » يجتاح السدود !
أو منظر « الدوار » يزخر بالعشائر والوفود !
و « العمدة » المغرور بينهمو .. « كهارون الرشيد » !
.. أو مجلس الآباء ، بعد الكد والجهد الجهيد !
فوق « المصاطب » يسمرون فلا تكلف أو قيود
ويثرثرون بما أصاب الأرض من قحط شديد
عن قلة المحصول ، والانتاج .. عن هذا الركود
عن موعد « الصراف » .. إذ يأتي لتحصيل النقود

★

قد كان ذلك كله .. بالأمس .. بالأمس البعيد
أيام كانت للحياة نضارة الزهر النضيد
والناس يشملها الوئام الحلو ، والسلم الوطيد
لا يعرفون البغض ، والحقد الدفين ، ولا الجحود

★

. . واليوم أحيا بالمدينة تائهاً بين الحشود
في زحمة المدنية الزعناء . . تعتصر الجهود
ما بين مجتمع يسير على هواه بلا قيود
يحيا بلا مثل ، ولا هدف ، ومعظمه قرود
وأرى المظاهر قد هوت بالناس للعيش الكنود
وأرى ابن آدم .. ذلك الانسان .. في ثوب الفهود
يهوى على حق الضعيف ، بمخلب البغي العنيد
فتعج في صدري الدما .. ويضيق في عيني الوجود
وأود لو رجع الزمان القهقرى ... حتى أعود . .
.. طفلاً تميزه البراءة .. والطهارة .. والسعود
أحيا وأمي والدجاج .. وكلبنا المدعو « شديد »
في بيتنا ، في « نجعنا » المحبوب في اقصى « الصعيد »

القاهرة — **محمد مهران السيد**

« من أسرة الفجر الجديد »